عدوان الطفل وبرامج العنف فى التليفزيون

يؤكد عدد من المهتمين بالسلوك العدوانى عند الأطفال أن التليفزيون يؤثر على مفاهيم الطفل واتجاهاته المستقبلية فيميل إلى تصديق أن ضابط الشرطة يعامل المجرمين معاملة سيئة، أو أنه لا مانع من ضرب المجرمين فى أثناء التحقيق معهم، أو تصديق أن المجرمين أذكياء، بل وربما يعتقد الصغير أن المدرسين فى مدرسته يشبهون المدرس فى البرنامج التليفزيونى ، وأن أمه مثل الأم التى رآها على شاشة التليفزيون. وكل ذلك يؤثر على اتجاهات الطفل نحو الآباء والمدرسين والمحيطين به.

وتشير بعض الدراسات إلى أن التليفزيون يؤثر على قيم الطفل فمشاهدته الدائمة لأحداث الجريمة والقسوة قد تخدش بمرور الوقت أحاسيسه وتؤثر فى قيمه وتجعله يتقبل السلوك العنيف كجزء من حياته المستقبلية، وقد ينمو الطفل محبًّا للعنف عندما يكبر ويعتقد أن العنف وسيلة مقبولة فى العلاقات الاجتماعية وأكد عدد من الباحثين فى دراساتهم عن السلوك العدوانى أن الطفل قد ينقل العنف الذى شاهده فى التليفزيون إلى ألعابه وعلاقاته الاجتماعية مع غيره من الصغار.

كما أكد بعض الباحثين فى دراساتهم عن علاقة التليفزيون بالسلوك

العدوانى إلى التأكيد على التأثير السلبى لبعض برامج التليفزيون فى سلوك الصغار وخصوصًا البرامج التى تكثر فيها أعمال العنف كبرامج الرسوم المتحركة: فالفئران تنسف القطط والنار تشتعل فى الناس والمنازل تتحطم والقتل والسرقة التى أصبحت جزءًا رئيسيًا من الحدث الكرتونى، كل ذلك وغيره يترك أثرًا سلبيًا على سلوك الصغار واتجاهاتهم.

وهناك عدد من الدراسات التى أجريت حول تأثير التليفزيون على السلوك العدوانى لدى الأطفال فمن المعروفة أن هذه الوسيلة الإعلامية الترفيهية تقدم فى كثير من برامجها كمية كبيرة من العنف سواء كانت هذه البرامج مقدمة للكبار أو للأطفال. ففى دراسة قام بها "ليبرت وباورن" على مجموعتين من الأطفال تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات إلى ثمانى سنوات حيث عرض عليهم تليفزيونيا بعض القصص التى تتضمن مشاهد مليئة بالعنف وبعض المشاهد الأخرى الخالية منه، ثم أتيح للأطفال فرصة العدوان على زميل لهم، كشفت نتيجة الدراسة عن أن الأطفال الذين عرضت عليهم برامج مملوءة بالعدوان قضوا فترة أطول فى الهجوم على نماذج الأطفال اتخذت كضحية لهم، وذلك أكثر مما حدث فى حالة الأطفال الذى عرضت عليهم برامج خالية من العدوان وهذا يعنى أن الأطفال على استعداد للاندماج فى نوع من التفاعل العدوانى مع الآخرين كنتيجة لمشاهدة برامج العنف التليفزيونية.. وزيادة على ذلك يذكر "توماس" أن هناك

خوفا من أن يؤدى استمرار مشاهدة العدوان بالتليفزيون إلى أن يعتقد الأطفال أن الشجار والعنف والصراع أنواع عادية من السلوك ويتقبلونها بصورتها التى يشاهدونها..

وقد ذكر البعض آثار التليفزيون على الأطفال والشباب على النحو التالى:

ـ يحرم الطفل من التجربة الحياتية الفعلية التى تتطور من خلالها قدراته إذا انشغل بمتابعة التليفزيون فترات طويلة.

ـ يحرم الطفل من ممارسة اللعب الذى يعتبر ضروريًا للنمو الجسمى والنفسى فضلاً عن حرمانه من المطالعة والحوار مع والديه.

ـ يعطل التليفزيون خيال الطفل لأنه يستسلم للمناظر والأفكار التى تقدم له دون أن يشارك فيها فيغيب حسه النقدى وقدراته على التفكير.

ـ يستهلك طاقات الأطفال اهائلة وقدراتهم على الحفظ فى حفظ أغانى الإعلانات وترديد شعاراتها.

ـ يشيع التليفزيون فى النشء حب المغامرة كما ينمى المشاغبة والعدوانية ويزرع فى نفوسهم التمرد على الكبار والتحرر من القيود الأخلاقية.

ـ يقوم بإثارة الغرائز البهيمية مبكرًا عند الأطفال وإيقاد الدوافع الجنسية قبل النضج الطبيعى مما ينتج أضرارًا عقلية ونفسية وجسدية.

ـ يدعو النشء إلى الخمر والتدخين والإدمان ويلقنهم فنون الغزل والعشق.

ـ له دور خطير فى إفساد اللغة العربية لغة القرآن وتدعيم الألفاظ غير اللائقة.

ـ تغيير أنماط الحياة والإفراط فى السهر، فأفسد الدنيا والدين كما يرسخ فى الأذهان أن الراقصات والفنانات ونجوم الكرة أهم من العلماء والشيوخ والدعاة والمبتكرين.

ـ ويمكن هنا أن نطرح السؤال التالى:

هل يتعلم الأطفال العنف والعدوان من خلال مشاهداتهم لبرامج العنف والعدوان فى التليفزيون.. وإلى أى مدى، وتحت أى ظرف؟ إن هناك ثلاث نظريات أساسية فى تفسير العنف والعدوان: الأولى: نظرية الغريزة. الثانية: نظرية الدافع أو الإحباط. الثالثة: نظرية التعلم.

وما يهمنا هنا هو النظرية الثالثة التى تؤكد على أن طريقة التربية والتنشئة لها تأثير فى ظهور السلوك العدوانى بين الأطفال.. وهذا ما ينقلنا إلى التساؤل السابق وهو: هل يتعلم الأطفال العنف والعدوان فى برامج التليفزيون؟ وللإجابة عن هذا السؤال توجد نظريتان: الأولى: نظرية التفريغ: وتقوم هذه النظرية على فرضية مؤداها أن

لأفلام الرعب والعنف القدرة على تفريغ العدوان والعنف من المشاهد.. وإذا كان الأمر هكذا فلا توجد مشكلة تستحق البحث.

والثانية: نظرية النمذجة: ومؤدى هذه النظرية أن الإنسان عندما يتعلم عن طريق المشاهدة، فإنه ينتج سلوكه على أساس ما يشاهده.. وأن الإنسان يقلد الإنسان الذى يشبهه أو الأقرب إليه.. إذا كلما ازداد تشابه النموذج مع المشاهد (المقلد) ازدادت نسبة تقمص النموذج وهذه النظرية أسس تقوم عليها. إذا يستنتج من يقرأ فى تجارب القائلين بها أن روعة مشاهد العنف والعدوان فى البرامج التليفزيونية تعمل على استثارة الشعور العدوانى عند المشاهد. وأن الأطفال يتعلمون من خلال ما يشاهدونه.. وأنهم عندما يواجهون ظرفًا مناسبًا فيما بعد، يحاولون تطبيق ما شاهدوه على الشاشة.

إن الدلائل التجريبية والكثير من الدراسات الاجتماعية تشير إلى أن مشاهدة النماذج العدوانية سواء كانت حية أم رمزية ينتج عنها زيادة فى العدوان عند الأطفال.. فإننا نكون مدركين للخطر المحتمل الذى تلعبه هذه الوسيلة الترفيهية، أى: التليفزيون.

فكثيرًا ما تلجأ بعض الأمهات إلى دفع أطفالهن قسرًا لمشاهدة التليفزيون للتخلص مما يثيرونه من مشكلات، وهذه الحالات تحدث عند العديد من البيوت، بمختلف المستويات العلمية والثقافية لأن الطفل قد يصبح أحيانًا مصدر إزعاج للأسرة إلا أن هذه الطريقة

تلحق الضرر بالأطفال.. لأن الأطفال لا يعرفون كيف يفرقون بين ما هو خيال وما هو حقيقة وواقع..

فالعنف الذى يظهر فى بعض الأفلام والمسلسلات التليفزيونية، تكون له نكهة ولذة حقيقية خاصة عند الطفل الذى يتفاعل مع المادة بشكل سريع ويحاول تقليدها فيما بعد الانتهاء من المشاهدة مع أخيه أو فى الروضة أو المدرسة أو فى المحيط الذى يعيش فيه وهذا دليل على مدى التأثير والضرر الذى يلحق به وتبدأ آثاره فى وقت متأخر.

ولم يقف الباحثون المهتمون بالتربية وعلم النفس موقف المتفرج منها.. بل إن الدراسات والبحوث مستمرة للحد من هذه الظاهرة وآخر هذه الدراسات البرنامج الذى نجح الباحثون فى الولايات المتحدة الأمريكية بتطبيقه للتقليل من ساعات مشاهدة الأطفال للتليفزيون والفيديو وألعاب الفيديو، بعد أن أصبح بحكم المؤكد وجود علاقة بين برامج التليفزيون وازدياد العنف لدى الأطفال نتيجة بحوث ودراسات متعددة.

ـ وفى دراسة لتقليل البرامج التليفزيونية العنيفة على الأطفال:

فقد وجد هؤلاء الباحثون أن تأثير البرامج التليفزيونية العنيفة على الأطفال يمكن علاجه وقد تم إجراء الدراسة التى أشرف عليها ـ "توماس روبنسون" ونشرت فى مجلة طب الأطفال والمراهقين فى عدد

يناير/ ٢٠٠٠ على مجموعة من الأطفال فى الصفين الثالث والرابع فى المدارس الابتدائية فى "سان جوس" فى ولاية "كاليفورنيا".

قام بعض الأشخاص الذين تم تدريبهم خصيصا بتدريس الطلاب المشاركين فى البحث (١٨) درسا تتراوح مدتها بين (٢٠ و٥٠) دقيقة على مدى ستة شهور للتقليل من ساعات جلوسهم أمام التليفزيون وقد أدى ذلك لتقليل ساعات المشاهدة وتقليل عدوانية الأطفال.

ويشجع الباحثون أولياء أمور الطلاب لتقليل ساعات مشاهدة التلفزيون باللجوء إلى وسائل أكثر فعالية، مثل تشغيل ساعات التليفزيون التى تغلق الجهاز بعد فترة من التشغيل "أوتوماتيكيا"، كما لاحظ الباحثون انخفاض المشكلات ومظاهر العدوانية اللفظية والجسدية بين الطلاب فى المدرسة والتى كانت تنتج عن خلافات بسيطة.

يستنتج مما تقدم أن المشكلة الأساسية التى تواجه الأطفال فى الوطن العربى تتمثل فيما يحاصرون من أفلام وبرامج ومسلسلات أجنبية بعضها مخصص للكبار وبعضها الآخر مخصص للأطفال ولكنه لا يصلح لهم إطلاقًا.

لذا فإن الحلول التى قد تكون مناسبة للحد من تأثير هذه الأفلام والمسلسلات على الأطفال تتلخص فيما يأتى:

١- أن تلتفت الجهات التليفزيونية المنتجة فنيًا فى الوطن العربى إلى إنتاج الأعمال التلفزيونية الموجهة للأطفال بما يتناسب مع قيمنا ومبادئنا التربوية والإنسانية لملء الفراغ الذى تعانيه الساحة العربية فى هذا الميدان، وللوقوف بوجه تلك الأعمال التليفزيونية الأجنبية الغازية التى لا تهدف إلا إلى الربح التجارى البحت.

٢- زيادة الرقابة على عرض الأعمال التليفزيونية والسينمائية الأجنبية التى من شأنها إثارة الرعب والعنف بين الأطفال للحد من تداولها.

٣- قيام أولياء الأمور على تعويد أطفالهم النوم فى أوقات مبكرة ليتسنى للتليفزيون عرض مثل تلك الأعمال فى أوقات من الليل يكون الأطفال فيها فى نوم عميق، إذ إن نسبة كبيرة من الأطفال ينامون فى أوقات متأخرة.

٤- تأكيد الرقابة على استيراد ما يتصل بالتليفزيون من ألعاب الفيديو و"السى دى" لما لها من تأثير سلبى فى إثارة الرعب بين الأطفال.

آثار القصص البوليسية على العنف لدى المراهق

يتناول هذا العرض شقين رئيسيين هما القصة من جانب، والمراهق من جانب آخر، وحتى يتبين الأثر لا بد من معرفة هذا العرض الخصائص والمميزات لطرق المعادلة، فالقصة أسلوب معروف منذ القدم عند مختلف الشعوب، بل إن الشعوب تتناقل فيما بينها القصص لما تحمله من مغزى أو حكمة تصلح لتعميمها، ولا أدل من عظم أثر القصة وأهميتها من استخدام القرآن الكريم لها كأسلوب تربوى ودعوى جاءت فى وقت مرت بها الدعوة الإسلامية فى بدايتها فكان لها الأثر البالغ فى تثبت المؤمنين وكذلك الرقى بهمه الملتقى وتوجيه سلوكه.

أما من جهة المراهق، فالمراهقة تعتبر مرحلة حرجة فى حياة الإنسان لما يكتنفها من تغيرات هائلة على المستوى الجسدى، الفكرى، الانفعالى.....، ولعل من أبرز التغيرات النفسية والفكرية ما يعرف بأزمة الذاتية وتحديد الهوية والدور المتوقع للفرد فى المستقبل، والحقيقة أن العوامل الثقافية تعتبر أحد أهم العوامل التى تؤثر سلبًا أو إيجابًا فى هذه الأمة، وتلعب وسائل الإعلام والاتصال بين الشعوب ـ خاصة فى طفرة الاتصال حاليًا ـ دورًا مؤثرًا فى تشكيل ثقافة المجتمع وبالتالى هوية أفراده واهتماماتهم.

جانب آخر مهم ويحدث فى هذه المرحلة.. أعنى مرحلة المراهقة.. ألا وهو تعجل الاستقلال الذاتى من قبل المراهق واعتقاده بأنه بلغ مبلغ الرجال، وأنه قادر على صياغة حياته بشكل مستقل تمامًا حسب ما يراه دون اعتبار للمعايير الثقافية السائدة فى المجتمع بشكل عام، بل قد يرى أن إثبات الذات يتطلب الانفلات من الضوابط ورفض القيم.

بعد هذه اللمحة السريعة لنا أن نتصور مدى تأثير القصة على المراهق، خاصة إذا كانت ضمن منظومة متنوعة من وسائل الإعلام كالتليفزيون، الإنترنت، الراديو.

ومما يزيد خطورة مثل هذه الوسائل أنها اختيارية فالمرء مختارا قرأ هذه القصة أو شاهد التليفزيون ليس هذا فحسب بل أنه مستمتع بذلك، فهل سيكون تأثيرًا الكتاب المدرسى على سبيل المثال الذى يقرأه الطالب قسرًا وبغير متعة، مثل تأثير القصة؟ بالطبع لا خاصة وأن المراهق بطبيعته يميل إلى الشيء الذى يختاره بحريه ودون إلزام أو التزام.

علاوة على ذلك فإن القصة لا توجه لقارئها أى لوم أو توبيخ بشكل مباشر كما يواجه المراهق من مجتمعه (الوالدين، المدرسة...) وهذا مما يزيد من تعلق المراهق بها وبالتالى التأثر بمحتواها.

ولقد وجدت الدراسات أن مشاهد أو أحداث العنف التي يتلقاها الطفل أو المراهق عبر الوسائل الإعلامية المختلفة قد ولدت لديهم الشعور بالقلق الشديد، وفي حالة وجود الخوف أو القلق لدى المراهق أصلاً فإن مثل هذه القصص تُضاعف هذه المشاعر وتزيدها سوءًا، وعلى الجانب الآخر فقد وجد أن الاطلاع على القصص البوليسية وغيرها من القصص التي يمثل العنف جزءًا كبيرًا من أحداثها وخصوصًا الاطلاع المتكرر على مثل هذه القصص، أنه يشجع الصغار على الاقتداء بالأشرار والانتقام من رفاقهم لأقل إساءة تصدر عنهم، ولا شك أن الشجار بين الأطفال والمراهقين موجود أصلاً لكن القصص والإعلام بشكل عام جعلته بطرق وأساليب أكثر مكرًا ومكيدة وعنفًا، والمشكلة أنها تعطي انطباعًا أن الحياة أبشع مما يرون في مجتمعهم الذي يعيشون فيه، وذلك يعطي سهولة للعنف زعمًا منهم أنها شأن طبيعي ومقبول، والأمر المفزع في بعض القصص أنها تصور الأعمال الإجرامية، بأنها فطنة ودهاء ووسيلة لتحقيق المآرب والخروج من الأزمات والمضائق بأقل تكلفة، وهذه الهالة المثيرة التي أعطيت للمجرم تبرر ما يصدر عنه من سلوك مثل التدخين، شرب الخمر، الكذب .... وترسخ لدى المراهق أن مثل هذه الأخلاق والسلوكيات مطلوبة ليكون عند رفاقه موصوفًا بالذكاء والفطنة، وقد ينتهي الأمر عند بعض المراهقين إلى بلادة الحس والمشاعر تجاه العنف والقتل والدماء، بل تأييد مثل هذا السلوك أحيانًا.

وقد يقول قائل: إن بعض القصص تنفر من العنف وتصور البطولة بمحاربة العنف وإقامة العدل ورد المظالم إلى أهلها، لكن تبقى الخطورة قائمة، فهذا البطل والذى يقدم كشخصية مثالية لا يزال فى جوانب تفكيره وسلوكه وأخلاقه يمثل بيئة مختلفة، أضف إلى ذلك أن هذه الشخصية لا تخلو من جوانب سلبية لا تصلح للاقتداء، لكن المشكلة أن المراهق فى هذه الفترة لديه ما يعرف "بالتقمص" فيأخذ فى تقليد كل ما يصدر عن الشخصية التى تقمصها، وهذه الشخصية قد تكون حقيقة أو خيالية كشخصيات الرواية أو القصة ويحاول تقليد هذه الشخصية حتى فى طريقة حركته، وكلامه، ولبسه ... وإن كانت مخالفة لمجتمعه، فلا بأس – فى نظر المراهق – بالتدخين والكذب أو شرب الخمر .... لأن هذه الأمور قد يمارسها بطل القصة فهى تبرمج فى ذهن المراهق بأنها من سمات البطولة، إضافة إلى هذا كله فإن ندرة أو غياب القدوة السلوكية الصالحة فى مجتمع هذا المراهق يزيد الأمر سوءًا والطين بله.

كذلك فإن بعض المراهقين قد يصل إلى درجة الإدمان على هذه القصص مما يورث لديه الخمول والكسل والاستغراق فى أحلام اليقظة وتعطيل الدرة على التفكير الإبداعى لديه.

أخيرًا فإن ما تقدم هو بعض من الآثار والتى قد لا تظهر إلا بعد سنين، وقد يكون تأثيرها على بعض النشء أكثر من بعض بحسب ظروف التنشئة والتربية، وعلى كل حال فإن ما ذكر لا يعنى بتاتًا إغفال أو تعطيل الجانب الإيجابى والفاعل للقصة الهادفة.